إحياء ذكرى الشهداء هي مواصلة مسيرة الجهاد والشهادة

المكان: طهران ـ حسينية الإمام الخميني (ره)

المناسبة: إقامة ثلاث مؤتمرات لإحياء ذكرى الشهداء

الزمان: ١٣٩٣/١١/٢٧ش. ١٤٣٦/٤/٢٦هـ. ٢٠١٥/٠٢/١٦م.

الحضور: جمع من المسؤولين عن إقامة ثلاث مؤتمرات لإحياء ذكرى الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

إنه لاجتماع جد منوّر وعاطر وعميق المعاني والمغزى. الشهداء الذين ذُكروا في هذه الجلسة هم من الشرائح المتفوّقة والنخبة في المجتمع، إنهم من الطلبة الجامعيين والفنانين والمعلمين وتلاميذ المدارس، وهذا يدل على أن محفزات التضحية والشهادة في سبيل الله شائعة على مختلف مستويات مجتمعنا، وهذا شيء على جانب كبير من الأهمية. أستاذ جامعي يتوجّه إلى جبهات القتال ويستشهد، وفنان يلتحق بالجبهات ويستشهد، وطالب جامعي يقاتل ويستشهد. الكثير من هؤلاء المشاهير في ساحة الدفاع المقدس في إيران – الذين تزيّن أسماؤهم شوارعنا ومراكزنا، وتجمّل صورهم بيئاتنا الحياتية – أو غالبيتهم كانوا من الطلبة الجامعيين. والبعض منهم كانوا نوابغ حقاً، وكانوا فنانين، وكانوا معلمين، وكانوا أساتذة، ذهبوا للجبهات وقدموا وأهدوا أرواحهم وأعمارهم – وهي أثمن ما يمتلكه الإنسان من الأمور المادية – في سبيل الله ومن أجل الأهداف. هذا شيء مهم جداً.

ملتقيات إحياء ذكرى هؤلاء الشهداء هي مواصلة لمسيرة الجهاد والشهادة. لو لم تتكرر أسماء شهدائنا وتكرّم، ولو لم يتحول احترامهم واحترام عوائلهم في مجتمعنا إلى ثقافة – ولحسن الحظ أنه غدا ثقافة في مجتمعنا – لكانت الكثير من هذه الذكريات القيمة الثمينة قد نسيت اليوم، ولكان هذا التقييم الكبير الذي يتكوّن في المجتمع بفضل مسيرة الشهادة قد غاب في مطاوي النسيان. يجب أن لا تسمحوا بحدوث مثل هذا الشيء بعد الآن أيضاً. ينبغي إحياء ذكرى الشهداء وتكرار أسمائهم والتدقيق في سيرهم في أوساط المجتمع أكثر فأكثر. وإذا كان هذا بقيت قضية الشهادة – وهي تعني الجهاد الحقيقي في سبيل الله – في مجتمعنا قوية راسخة. وإذا كان هذا فلن يعود هناك انكسار يُمنى به هذا المجتمع ولن يكون للهزيمة معنى بالنسبة له، بل سيتقدم باستمرار. الأمر تماماً كقصة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وقد مضى اليوم ١٣٠٠ عام على استشهاد سيدنا أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أو أكثر، وقضية الحسين (ع) تتعاظم وتكبر يوماً بعد يوم. ثمة في داخل هذه القضية مضامين ضرورية لحياة المجتمع حياة إسلامية. لو لم تنتشر هذه المضامين لما كان ثمة اليوم أثر للإسلام والقرآن وحقائق المعارف الإسلامية. وكذا الحال بالنسبة للأمر في الوقت الحاضر. لا تدعوا أسماء الشهداء وذكرياتهم

يلفّها النسيان أو تصاب بالقدم في مجتمعنا، وطبعاً ينبغي أن تفعلوا ذلك بأساليب مبتكرة، فهذه الملتقيات التي تقيمونها أيها السادة – وهي قيمة جداً – ليست مجرد مجالس فاتحة ضخمة، بل هي ملتقيات ذات مضامين خاصة، ويجب أن تفسّر فيها معاني الشهادة، ويُعرّف الشهداء، وتكرّس ثقافة الشهادة في المجتمع.

يقول الله تعالى حول الشهداء إنهم أحياء: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ﴾ (٢)، ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ اَمواتاً بَل اَحياٌ عِندَ رَبِّهِم يرزَقُون* فَرِحينَ بِمآ ءاتهُمُ اللهُ مِن فَضلِه﴾ (٣). هذه آيات قرآنية. إنها معارف صريحة لا يمكن لأيّ مسلم أن يغضّ الطرف عنها. كل من يعتقد بالإسلام والقرآن الكريم يجب أن تنتصب هذه المعارف أمام عينيه. هذه الآية القرآنية الشريفة تقول إنهم أحياء وحياتهم حياة واقعية، وحياة معنوية، وهم يرزقون عند الله تعالى، بمعنى أن فضل الله تعالى ينهمر عليهم دوماً، ﴿فَرِحينَ بِمآ ءاتهُمُ اللهُ مِن فَضلِه﴾. ماذا يحدث في الجانب الآخر للحدود بين الحياة والموت؟ ما الذي يعرفه البشر عن ذلك العالم وتلك النشأة المجهولة؟ بخصوص الشهداء نعلم أنهم راضون مسرورون فرحون، ﴿فَرِحينَ بِمآ ءاتهُمُ اللهُ مِن فَضلِه﴾، وفوق ذلك ﴿وَيستَبشرونَ بِالَّذينَ لَم يلحَقوا بِهِم﴾ (٤)، أي إنهم يتحدثون معنا ويخاطبوننا: ﴿اَلّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يحزَنون﴾ (٥). هذا شيء مهم للغاية. يجب أن نوجد في أنفسنا هذه الأذن التي تستطيع أن تسمع نداء الشهداء الملكوتي. إنهم يبشروننا ويخبروننا بأن لا نخاف ولا نحزن: ﴿اَلّا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يحزَنون﴾. إننا نصاب بالخوف نتيجة حالات الضعف عندنا، ونعاني من الحزن، وهم يقولون لنا يجب أن لا نخاف ولا نحزن، فهم إما يتحدثون عن أنفسهم أو عنا – حسب الاختلافات الموجودة بشأن تفسير هذه الآية الشريفة – إنهم ينفون الخوف والحزن، سواء في هذه النشأة أو تلك النشأة. من المهم بالنسبة لشعب مقتدر أن لا يصاب بالخوف والحزن في مسيرة تقدمه، وأن يسير بأمل. هذه هي رسالة الشهداء لنا، وينبغي استماع هذه الرسالة. إنكم بهذه الملتقيات والنشاطات التي تقيمونها تقع على عواتقكم واجبات إيصال هذه الرسالة للأسماع.

ذكر أخونا (٦) نقطة جيدة، وهي أنه عندما يقام ملتقى لإحياء ذكرى الشهداء، فالذين يشاركون في هذه الملتقيات مهما كانت مراتبهم ومقاماتهم العالية فإن ما سينالونه من خيرات هذه الملتقيات وبركاتها وهدايتها ومعارفها أكثر مما يمنحونه لها من خير وفائدة وعظمة؛ وهذا هو الواقع. اعملوا ما من شأنه أن تكون هذه الملتقيات مباركة إلى هذا الحد، وروّجوا لهذه المفاهيم، وانشروا هذه الثقافة في المجتمع. لقد قام الشعب الإيراني بشيء عظيم كبير. في عالم يدور حول مدار القوة والعسف والغطرسة والنهب الذي يمارسه العتاة والأقوياء، وتتعرض فيه الشعوب المستضعفة في شتى الأماكن والأنحاء من العالم إلى ضغوط المتجبّرين دوماً، في مثل هذا العالم قام كائن أو هوية يعارض بصراحة وبدون ملاحظات وبمنتهى

الشجاعة هذا السياق الخاطئ في العالم، ألا وهو سياق الهيمنة الذي نعبّر عنه بعبارة نظام الهيمنة. هذا هو ما فعله الشعب الإيراني. لقد رفض شعب إيران نظام الهيمنة القائم على الهيمنة والخضوع للهيمنة. شيّد العتاة الناهبون عالمهم على أساس تقسيم العالم إلى مهيمن وخاضع للهيمنة، وكذا الحال اليوم أيضاً، وكذا كان الحال عندما تفجرت الثورة الإسلامية، وهكذا كان الحال على مر التاريخ. وبالطبع فإن هذا الواقع اليوم أشد مما كان عليه في العصور الماضية، لأن أدوات الهيمنة اليوم لا تقبل المقارنة بما كانت عليه قبل مائة عام وألف عام وخمسة آلاف عام، فقد توفرت للمهيمنين فرص أكبر للهيمنة على المظلومين والمستضعفين، وهم ينتهزون هذه الفرصة إلى أقصى الحدود، فينهبون المصادر ويدمّرون الثقافات ويذلّون البشر وينشرون الجوع بين الشعوب المظلومة المحرومة، وغير ذلك من الفجائع. مقابل هذا السياق ظهرت هوية اسمها الثورة الإسلامية تعمتد على أسس الوحي والركائز الإلهية والأخلاق الإلهية والمسيرة الإلهية وما يقوله القرآن الكريم بصراحة؛ هذه هي مسيرة الشعب الإيراني. وقد تنامت هذه المسيرة وتقدمت إلى الأمام يوماً بعد يوم والحمد لله.

إننا لا ندعي أننا استطعنا تطبيق الأهداف الإسلامية في البلاد، هذا ما لا ندّعيه أبداً. في الكثير من الحالات كانت قدراتنا محدودة ولم نستطع العمل بما أردنا القيام به كما نحبّ ونرغب، لكننا واصلنا حركتنا ولا نزال نسير نحو القمّة. حاولوا بث الندم في نفوسنا على مسيرتنا هذه فلم يستطيعوا، وحاولوا إيقافنا فلم يستطيعوا، وسعوا إلى أن يفرضوا علينا التراجع فلم يستطيعوا. نعم، نحن لم نصل إلى القمة، لكننا سرنا على هذا السفح مسافات كبيرة، وتقدمنا إلى الأمام، ولا تزال هذه الحركة مستمرة والمحفزات متظافرة، وسوف تتنامى هذه المحفزات والدوافع أكثر فأكثر إن شاء الله ولا تتوقف. ذات يوم كان البعض يفكّر والبعض يذكر هذه الفكرة باللسان فيقول: يا سيدي، أنتم تأخذون هؤلاء الشباب من الطلبة الجامعيين إلى الجبهات – والحال أننا لم نكن نأخذهم بل كانوا يتوجهون هم أنفسهم إلى الجبهات بشوق، وحتى الذين يواجهون ممانعات مَن حولهم بشأن الذهاب للجبهات، يفرضون على المحيطين بهم بشتى الحيل والأساليب أن يسمحوا لهم بالالتحاق بالجبهة – فتبقى الجامعات خالية وتتوقف مسيرة العلم، إلّا أن تحركات الطلبة الجامعيين وجهادهم ومساعيهم جعلت تقدمنا على الصعيد العلمي أكبر وأسرع من تقدمنا على الصعد الأخرى. الحمد لله على أن مسيرتنا العلمية اليوم وعلى مختلف مستويات البلاد مسيرة مقبولة وتبعث على الفخر. في ذلك الحين لم يكن هذا الأمر متصوّراً، بل ربما كان يقال إنه لو توجّه هؤلاء النخبة والفنانون والطلبة الجامعيون والأساتذة والمعلمون إلى الجبهات وقتلوا فستكون هناك ثغرة. وتبيّن أن بركات الشهادة والجهاد في سبيل الله أكبر من ذلك بكثير. ذهب أولئك إلى الجبهات، واليوم ظهر لدينا أشخاص مميزون في عالم العلم ومجالات الفن ومختلف الميادين، ويمكن أن

يكون لهم أداؤهم الجيد على المستوى الدولي والعالمي. هذه من خيرات مسيرة شعب وجهاده الذي سوف يستمر ويتقدم إلى الأمام ويتواصل.

لديّ اعتقاد راسخ بأن من الاحتياجات الأساسية للبلاد إحياء اسم الشهداء، هذه حاجة تبدو لنا – سواء كنا أناساً متدينين متعبدين، أو حتى لو لم نكن متدينين بدرجة عالية لكننا نحب مصير هذا البلد وهذا الشعب – ضرورية وحيوية لمستقبل البلاد كيفما فكّرنا. ثقافة الشهادة تعني ثقافة السعي والتضحية وتجاوز الذات من أجل الأهداف البعيدة الأمد المشتركة بين جميع الناس. وطبعاً، ليست تلك الأهداف خاصة بشعب إيران ولا بالعالم الإسلامي، بل هي أهداف عالم الإنسانية. إذا تكرّست هذه الثقافة لدى شعب لكانت على الضدّ تماماً من الثقافة الفردية الغربية الحالية، والتي تقيس كل شيء لأجل الذات وبالمعايير الشخصية، وترى لكل شيء سعراً بالعملات والأموال، ألا وهو الحصول على المال. هذا على الضدّ تماماً من تلك الثقافة. بمعنى «وَ يؤثِرونَ على اَنفُسِهِم» (٧). إنهم أفراد يعملون بالإيثار وبثقافة الإيثار والتجاوز والتضحية بالذات من أجل مصير المجتمع والشعب. إذا عمّت هذه الثقافة، فإن أيّ بلد أو مجتمع يتوفر على هذه الثقافة سوف لن يتوقف أبداً، ولن يتراجع إلى الوراء، بل سيتقدم إلى الأمام. عملكم هذا يحيي هذه الثقافة. وعليه، فإني أتقدم بالشكر لكل الإخوة والأخوات المتعاونين والمشاركين في هذا العمل الصالح، وأتمنى لهم جميعاً التوفيق. هذه المجاميع الثلاث الحاضرة اليوم هنا – مجموعة لجنة إحياء ذكرى الشهداء الفنانين، ولجنة إحياء ذكرى الشهداء من الطلبة الجامعيين، ولجنة إحياء ذكرى الشهداء المعلمين والمسؤولين عن الشؤون التربوية – كل واحدة منها تقوم بعمل قيّم عميق المعاني والمغزى، وسوف نشاهد آثار هذه الأعمال في المجتمع إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله

---

١ – حضر هذا اللقاء أعضاء لجان الملتقى الوطني للشهداء من الطلبة الجامعيين، وملتقى تكريم ذكرى الشهداء الفنانين، وملتقى الشهداء المسرحيين.

٢ – سورة البقرة، شطر من الآية: ١٥٤ .

٣ – سورة آل عمران، الآية ١٦٩ وشطر من الآية: ١٧٠ .

٤ – م ن .

٥ – م ن .

٦ – السيد حسين مسافر آستانه.

٧ – سورة الحشر، شطر من الآية: ٩ .